تأثير العربية في اللهجات الشلحيات

محمد المختار السوسي

يشرف هذه المجلة ان تنشر بين دفاتها هذه النواة القيمة لبحث طويل كان فقيدنا تغمده الله برحمته قد اعتزم تحريره وقد طالما ناجانا بأسراره في خلواتنا الرقيقة وأمسياتنا الطافحة بسلسبيل علمه الفياض وعسى أن نتمكن من نشر ما استكمله رحمه الله من هذه الابحاث الشيقة متى توفرت الامكانيات :

ان أول ما يبده الباحث في الشلحة عندما يقابلها بالعربية أشياء منها :

1) انه يجد مخارج الحروف متساوية في اللغتين ، حتى حرف الضاد ، فانه ينطق به عند الشلحيين كما ينطق به عند العرب سواء سواء .

فانهم يقولون : أضاض للاصبع ، ويقولون ابضت من بضعه أو قطعه ، ولا يفوت الشلحة من حروف العربية الا المعجمات منها ، كالثاء والذال والظاء ، وهي نفسها تهجر في اللغة العربية الدارجة الآن .

2) اذا أردنا ان نعرف مقدار ما في الشلحة من العربية فلنتتبع المصطلحات المتعلقة بالمنزل واللباس والمركوب وأحوال الانسان وما اليها من ملابسات شخصية فاننا سنلمس هذا التأثير القوي ، ففي المنزل مثلا نلاحظ توافر ألفاظ منها الموضع والبيت والباب والعتبة والشرجب والقفل والمقصورة والحش والاروى والهرى والصهريج والساقية والجابية والحانوت والقوس والكرة والدكان والقنديل والفتيلة ، وكذلك المجمر والقدر والمعلقة والزلفة (أي السلطانية) والصاع والكاس والغراف (آنية الشرب) والسطل والبراد والمرجل والمائدة والموسى والمغسل والفوطة والجراب والاشفى والزيف (المنديل) والكسوة والقشيب والدراعة والملحفة والازار والفراش والمخدة والزربية والسراويل والابزيم والمضمة والصدرة والجبة والخيط والحرير والقطين والسدى .

كما نجد حول (المركوب) :
الحلس والقتب والحمل والركاب والمهماز والجوالق والشكال واللجام والسمط .

أما تطورات الشخص في أحواله فان المفردات الملحقة بها تتلخص في بد وذرى والحزن والفرح والقلق والجرى والذهاب والمقل (النظر بالمقلة) والاحتباء بالثوب والحنان والهدوء والهدنة والصلح .

فهذه كلها وكذلك غيرها تستعمل على نسق استعمالها العربي في أصل المعنى ولاسماء الذات طرف من هذا .

فاليا فوخ والقلة والمقلة والصماخ واللسان والمنخر والشعر والقلب والرئة والترب والرجل والبطن والعرق والخزز يقصد بها الشلحي ما يقصده العربي .

ثم اذا ملنا الى الاشجار وما اليها من النبات نجد عندهم :

الشجر والزيت والادام والكمون والجزر واللوبيا والحمص والبلح والباكور والكراويا والقصيل والابزار والزبيب .

وهكذا نجد في كل ناحية من مناحي حياة الشلحيين ألفاظا عربية كثيرة التداول في كلامهم منها ما هو جامد لا يدخله التصريف ومنها ما يدخله التصريف فيأتون منه بالماضي والمضارع والامر والوصف والمصدر .

وليس بعجيب ان نجد عند الشلحيين الذين يغادون العرب ويماسونهم ويمازجونهم أزيد من ألف سنة ألفاظا مستعملة في لغة العرب الرسمية والدينية تنتقل اليهم بأقل مخالطة .

وانما العجيب أن نجد ألفاظا غير قليلة عند

الشلحيين ، لا تروج غالبا فى لغة هؤلاء العرب المخالطين للشلحيين .

لكننا نجد عند الشلحيين مثل :

السرى .. بمعنى الجدول ، والاوق(I) .. والثرب شحم الكرش والفدع التواء المفصل والسمط الخيط المعلق فى آخر الرحل والقلزم والفاس والخلف زق الادام ، وأفت الانسان عن وجهته : صرفه عنها والبكت : الضرب بالعصا وذرى بمعنى سقط ، وآل اذا بكى .

فانها ـ وكلمات كثيرة قد تعد بالمآت ـ لا يكاد يعرف ان لها أصلا فى العربية الآن الا من خالط قواميس اللغة العربية ـ والا ، فقد يسمع سامع اطلاق الشلحيين لفظة ازبل على الشعرة ، فلا يجول فى ذهنه ان اصل الكلمة الاسب بالسين وهو شعر الركبتين ثم قلبت السين زاء ، وزيد فيها اللام فجاءت كلمة ازبل بل الاوضح انها مأخوذة من السبلة التى بمعنى الشعر مطلقا وقلبت السين زايا ، وكذلك يسمع لفظة الردن بمعنى الولدان جمعا فقلما يهتدى الى أصل الكلمة .

وكذلك يسمع اسوا بمعنى شرب الماء وهى كلمة تتصرف عندهم غالبا على حرف السين فقط ، ماضيا ومضارعا وأمرا ومصدرا فلا يكاد يعرف أن أصل الكلمة من الحتسى الماء أى شربه .

وكذلك يسمع (كا) (الكاف المفخم) فلان العالم ،اى كان فلان عالما ولا يحسب ان الكلمة هى المفخمة كان المعروفة نفسها فى العربية وانما قلبت الكاف كافا (مفخمة) وهى لهجة عربية صحيحة ثم تحذف النون فى الكلمة أحيانا كما يقع غالبا فى الكلمات التى تلوكها ألسنة لغة أخرى مثلما نسمعه الآن عن لفظتى ابن رشد والفارابى وأمثالهما عند الغربيين .

وهذا التأثير يقوى فى الكلمات الدينية التى هى سيل طافح فقد التهمت الشلحة كل الالفاظ التى تؤدى المعانى المتعددة فى الصلاة والزكاة والصوم والحج فشلحت كلها فأنت مثلا تسمع تمزكدا وتصلتو تلفطرت فتعلم ان أصلها المسجد والصلاة والفطرة التى يقصدون بها صاع زكاة الفطر .

وهذا الباب الدينى كثير جدا وغالبه معرف بالالف واللام حتى صحت القاعدة التى تقول : ان كل لفظة جامدة فى الشلحة بدئت بالالف واللام فانها عربية الآصل.

وربما شلحوا جملة عربية تامة كقولهم ما تريد مازكانتك أرياتا ، ومما اتفقت فيه اللغتان كاف الخطاب فانه يستعمل فى الشلحة استعماله فى العربية .

وكذلك ما الاستفهامية .

وهناك غيرهما مما لا مجال لذكره فى هذا المقال الوجيز ونريد أن نعلن الآن أنه قلما تكون جملة أو جملتان متصلتان من الشلحة الا وتجد فيهما أثرا من العربية .

فلننشد هذا البيت الشلحى :

امرب اوردحم أه آل متتنين

افلتد بجر امد أرت اتن ويض

ففى هذا البيت أربع كلمات عربية : رب ، رحم، افل ، ويض .

ولننشد بيتا آخر :

أوشن زلن أوزاك ايكى ايمى غوتا غاط

أو لوكان ايلي بلابويد نغسار اورى اشيات

وهناك بيت آخر :

وانا مود لا ايبد اوزمز ارسول ايت مشى وير

أو لوكان ايكى اللى الزانس أتنسول امين

وهنا يحق لنا ان نتساءل عن العوامل التى انتشرت بها العربية ذلك الانتشار العظيم فى شلحة السوسيين مع اننا نعرف ان السوسيين قلما يخالطون العرب باستمرار لانزوائهم فى صقعهم المنعزل .

وقد يستوقف ذلك أنظار الباحثين ما لم يحللوا فيه ذلك تحليلا يعبد الطريق للنتائج الصحيحة وقد حاولت ذلك فقسمت الالفاظ التى جمعتها الى ثلاثة أقسام :

I) ما جاء عن طريق الدين من كل ما يتعلق بالشرع وما جاء عن طريق المدنية العربية من أسماء أدوات المنزل واللباس وآلات الاعمال التى نزاولها ومن أسماء الاشجار والعلوم التى انتشرت بانتشار تلك المدنية فهذا القسم تسرب من مؤلفات العلوم ومدارس الدين والمخالطة فى الاسواق والمقايضة فى المتاجر فهناك مؤلفات كثيرة ترجمت الى الشلحة فشلحت كلمات كثيرة من العربية وتكثر هذه المؤلفات فى الفقه والمواعظ والحساب والفرائض والتوقيت فالمترجمات فى هذه الفنون متعددة .

وكذلك لا ننسى المدارس العربية المنبثة فى قبائل سوس التى تصل أزيد من ستين قبيلة ـ وهى مدارس تنيف على المائتين .

أولا ينتظر من كل هذه الجهود العربية أن تترك أثرها العميق فى ألسنة الشلحيين ؟

أما القسم الثانى فهو ما أراه قديما عند الشلحيين مما سبق الفتح الاسلامى ، ويظهر لى أنه متأصل فى اللغة الشلحية ، لاننى لا أعرف ما يقوم مقام تلك الالفاظ

(I) الاوق فى الفصحى الثقل والشؤم .

عندهم مع ملاحظة أنه لابد من تلك الالفاظ لاية أمة ، ولو كانت لا تزال من الهمجية الاولى فى الدركات .

وذلك كالموت والحياة والدم والريح والاب والام والصوت والبر والبحر والقرب والبعد ، وهلى ألفاظ تصل عندى الآن الى مائة كلمة ولا أعلم لها مرادفاشلحيا يمكن أن نقول انه هو الاصل الاصيل ويكون الآخر من الدخيل .

وهذه الالفاظ وما على غرارها يتفق على التلفظ بها فى معناها كل من عرفناه من أصحاب اللهجات البربرية المتفرقة حوالى الاطلس زيادة على ما فى سوس .

وكون أمثال هذه الالفاظ أقدم من الفتح الاسلامى هو الراجح عندى ، وأكاد أجزم به ثم لا أدرى أهى ألفاظ غمرت مرادفاتها من الشلحية منذ تسربت من العربية القديمة على عهد الفتح الاول للفينيقيين (I) الذين نعرف من هم بالنسبة لابناء الجزيرة العربية وهم من أبنائها الصميمين ؟ أم هى الفاظ قديمة فى اللغة الشلحية؟ فتكون حجة للمؤرخين الذين يؤكدون ان البربر موجة من موجات الشرق فى عصور ما قبل التاريخ .

وأما القسم الثالث فهى ألفاظ تتردد ما بين هذين القسمين ولا يترجح فيها جانب على آخر كالتلعة والاحتباء والاحتساء والافول بمعنى الغروب والموافاة اليه بمعنى الوصول اليه ويستعملونه بمعنى وجده الى غيرها من ألفاظ كثيرة تأتى على غرارها ليس عليها طابع محقق من المدنية العربية ولا من الدين الاسلامى كما أنه ليس هناك أيضا ما يرجح أنها قديمة .

محمد المختار السوسى

(I) راجع كتاب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله «معطيات الحضارة المغربية» ومجلة « تقويم المنصور » للاستاذ توفيق المدنى (سنة 1343 هـ) حيث اثبت عروبة الفينيقيين تبعا للحفرية التى عثر عليها فى البرازيل (تجدونها حوله) وراجع ايضا بحثا قيما حول كشف الفينيقيين للبرازيل قبل 2750 سنة من تاريخ كشفها المعروف وكذلك كتابا حول وصول الفينيقيين الى كولومبيا لابراهيم هاجر وقد صدر بالاسبانية فى بونس ـ ايرس (الارجنتين) (مجلة المعرفة ـ سوريا ـ العدد العاشر) .

الجملة الفنيقية	مقابلها بالنطق العربي في شمال افريقيا	مقابلها العربي
هنا احنا بني كنعان م قرلم حفرة حل	هنا احنا بني كنعان من قرالم حسا الحفرة	هنا نحن بني كنعان من قرالم نحصلنا الاحتفار
اوش حر حصل هك	موش حرالم نحصلوا هكا ؟	اليس حرالما ان نحصل هكذا ؟
لا عنا ازيد حيا قفار	ما نزدادش احبات عندنا اكثر	لا نريد الحياة عندنا اكثر
في حيرم اناس تا بحر	في الهم الناس ستاع البحر	في نفوس الناس في البحر في الهم
الحلى كلوه	الحزن كلاهم	الحزن كلهم
او على كان ترسنا تاسعة او عشرة	والحزن كاين نزي السنا تسعة او عشرة	والحزن كائن وهذه السنة هي التاسعة او العاشرة
الحراني منك هنا عيد ولاح لا اوم	للنت الحراني هنا لوح عيدو لاش موش معاهم	انت الحراني هنا يمي بعيدك لماذا ليس هو معهم
عفو الي دبر بهم شاحا اول السنم	اخرفوا اللي دبر بهم بلش حا اول السرح	اعرفوا الذي دبر بهم بدأ من اول المرعى
عنا هنا هي تاعشرة كو الحي حيي ما هي حر	احنا هنا عشيرة كيف الحي يحب لبلاصتو حر	نحن هنا عشيرة فاذا احب الحي حياة وجدد حارا
اوستم سلم اش برنار هنا	وكان هذا قصدكم نصر ولكن اش هالمرا تدوتعمر	وكان هذا قصدكم نصر ولكن ماهذه المرأة التعمل فينا
جاي او البرهنا ما غير بعل اولى ان	جاي المر هنا ما غير بعل هو اللي عان	غير هنا حلم وما غير بعل هو الذي اعانا
حتى حمر اللون	حتى حمر الهون	الا بصلنا اي خير اتى هنا
راحلم سنام عشرة عالم	راحتلهم السنا مع عشرة ماتوا	رحلت عنهم السنة ومعها عشرة عاشوا
كسنا ست ناس مياح را تاسو	بقينا ستة ناس مبيوعين زانا حسو	بقينا ستة اناس مباعين نحوم بالسة
حتى مات عصبط عد هبات بي عيه	كيف مات عصبط العباد هبات عليه	لما مات السبط اصاب العباد الاحتبال عليه
اولو عالى حكات اباحنانة	قتل الحزن كانت موته حنانة عليه	قتله الحزن لكن موته كان حنانة الهيا عليه

نشر الاستاذ احمد توفيق المدني في العدد الثالث من مجلته تقويم المنصور لسنة 1348 صورة هذه الرخامة التي كشف عنها الدكتور البرازلي السيد (الاديزلونيتو) وضمنها الجزء الاول من كتابه الانطروبولوجية ، وهي تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد مما يدل على أن الفنيقيين قد كشفوا أمريكا قبل كريستوف كولومب بستة عشر قرنا . كما يستفاد من هذه الرخامة أن القرطجنيين كانوا يسمون انفسهم ببني كنعان وان اللغة البونية كما يتجلى من الكشف هي لغة عربية تشبه العربية العامية في افريقيا الشمالية ، وقد تحدث الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله في كتابه مظاهر الحضارة وكذلك في معطيات الحضارة عن قصة دخول اللغة العربية الى افريقيا الشمالية قبل الفتح الاسلامي بعدة قرون .